مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 08/ العدد: 02 مارس (2022) - ص 21- 31

أهمية فهم العلوم اللسانية العربية في فقه المقاصد الربانية

Title of the article: The importance of understanding Arabic linguistics on the jurisprudence of divine purposes.

درني حورية
houria.derni@univ-mascara.dz
جامعة مصطفى إسطمبولي(معسكر) / الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/10/31 تاريخ القبول: 2022/01/26 تاريخ النشر: 2022/03/31

ملخص البحث

تميّز النّص القرآني بالدّقة والضّبط في انتقاء مفرداته واختيار تراكيبه وفي شتّى صوره، وإنّ نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فتح للغته باباً واسعًا من أبواب النّمو والغنى، الذي لم يكن ليؤتى لها لولا فضل هذا الكتاب، فقد نشأت علوم العربية في ظلال القرآن و ترعرعت في رحابه، وفي المقابل فقد توسّل المفسّرون له بفروع هذه اللّغة واستطاعوا أن يجعلوا القرآن يخضع لمستوياتها،وهذه الأخيرة كان لها أثرًا ملحوظًا في فهم مقاصد الذكر الحكيم ، وكان رجوع المفسرين إلى مختلف الفروع اللغوية كفيلاً بإحصائهم لجميع ما ينطوي عليه الخطاب القرآني، ومن ثم ظهر التفسير اللّغوي عند ثلة من المفسرين، محاولين فهم القرآن من منظور لغوي، أي من اللغة التي نزل بها.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، علوم العربية، التفسير اللّغوي.

ABSTRACT:

The Qur'anic script is distinguished by the subtlety in the selection of its vocabulary and the choice of its composition and in its various forms, and the descent of the Qur'an with a clear Arabic tongue, opened to his language a wide door of growth and wealth, which would not have been possible without the virtue of this book, arabic sciences originated in the shadows of the Qur'an and grew up in. In contrast, the interpreters begged him to have branches of this language and were able to make the Qur'an subject to its levels, and the latter had a noticeable effect in understanding the purposes of the wise male, and the return of the interpreters to the various branches of the language was enough to count them for all that is involved in the Qur'anic discourse, and then The linguistic interpretation appeared to a group of interpreters, trying to understand the Qur'an from a linguistic perspective, i.e. from the language in which it came down.

Keywords: The Qur'an, Arabic Sciences, Linguistic Interpretation.

1. مقدمة:

اهتم العرب منذ الجاهلية بلغتهم أيّما اهتمام ، فقد كانت لهم مصدر فخر وعزّة وتميّز، ولم يقتصر الأمر على ذلك العصر ، بل تعدّاه إلى ما بعده إثر ظهور ذاك الحدث الجلل وهو نزول القرآن العظيم، الذي غيّر مسار البشرية جمعاء في شتّى المجالات والعلوم ، وظهر انعكاسه على جميع التّخصصات والفنون.

فقد حلّق القرآن الكريم بالعربية عاليًا وسبح بها في فضاء رحب ، وجعلها تمتطي سلم الرّقي والحضارة، فبعدما كانت لغة قومٍ بعينهم صارت لغة عقيدةٍ وفكرٍ، ودين ومنهج لغة أقوام يتعبّدون اللّه بتعلّمها ، ويتقربون إليه بفقه أسرارها ، والكشف عن دلائل إعجازها، وإذا تبيّن لنا هذا فإنّه من الواضح أن نفهم أنّ الاهتمام باللّغة العربية لم يقتصر على فئة الشّعراء و الأدباء ، أو اللّغويين والنّحويين، أو البلاغيين والنّاقدين وغيرهم من ذوي الاختصاص فحسب ، وإنّما كانت ثمة إسهامات أخرى من لدن المشتغلين بعلوم القرآن ومباحثه ، ونذكر منهم : الفقهاء، الأصوليين، والمحدّثين، ومنهم المفسّرون الذين كان انشغالهم بعلوم اللّغة لا يخفى على أحد ممّن يدرس كتب التّفسير ويتبحّر في أبوابها و يجول بين صفحاتها، وظهر التفسير اللّغوي الذي كان منهجا لثلة من المفسرين في فهم مقاصد القرآن الكريم ، باعتبار نزول القرآن الكريم كان بها وفهمه من فهمها.

والسؤال المطروح:

ما هو أثر فهم اللسان العربي في فقه القرآن الكريم وتفسيره؟ ماذا نعني بالتفسير اللغوي وما هي ضوابطه وكيف كانت بدايته؟

للإجابة عن هذه التساؤلات ، ارتأينا الوقوف عند أهم المحطات الرئيسة في تاريخ التفسير عموما والتفسير اللّغوي على وجه الخصوص، وذلك انطلاقا من نزول القرآن الكريم وارتباطه الوثيق باللغة العربية إلى مراحل ظهور المؤلفات في التفسير اللّغوي.

2. أثر فهم علوم العربية على معرفة المعاني القرآنية:

إنّ فهم اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ومعرفة معانيها كفيل بمعرفته وفقه مقاصده ومراميه، ولذلك تعتبر اللغة مصدرا هاما من مصادره ، حيث يقول ابن خلدون في مقدمته: «إنّ القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه ومفرداته وتراكيبه»[1]

وحديثنا عن أثر اللغة في تفسير النّص القرآني ،يحيلنا إلى البدايات الأولى التي نشأت في أحضانها لغة القرآن: اللّغة العربية ، وكيف ترعرعت ونمت إلى أن صارت في صورتها النّاضجة، وفي أوج تطورها وازدهارها في عصر النّبوة وما بعده،فعلى الرّغم من كون بدايتها الأولى كانت ساذجة إن صحّ التعبير وتتسم بالبساطة والعفوية، إلاّ أنّه قد قدّر لهذه اللّغة الحياة والرّفعة والرّقي، وكان لها الشّرف العظيم لنزول القرآن بلسان عربي مبين، وقد كان أهل العربية يتحدثون بها على السّليقة ،

فلم توضع لها قواعد تعسفية تحكمها، ولم تسطّر قوانين صارمة تحكم استعمالها أو نظريات تبلور أسسَها، بل هي الفطرة أثناء الحديث ، والجودة في التّذوق، والمهارة في النّقد وإصدار الحكم .

وفي صدد ما أسلفنا ذِكره يقول عبد الغفار حامد هلال: "نشأت العربية ضعيفة محدودة في ألفاظها وتصريفها، لأنّ مظاهر الحياة آنذاك كانت محدودة ، وفي غضون قرون عديدة تشعبت حاجات أهلها وكثرت متطلباتهم تبعاً لنُموهِم المطّرد ، وتنقلاتهم في موطنها، وهذا ما يدعو إلى ابتكار لغوي جديد يعبّر عمّا يريدون من رغبات ، فكثرت الألفاظ والتّصرفات اللّغوية التي أخذت صورة التّعدد اللّهجي والتّنوع في العادات الكلامية ، ولهذا تكون اللّغة قد دخلت مرحلة متقدّمة من النّضج والكمال."[2]

ففي كلامه إيحاء على أنّ الفترة التي عقبت ظهور القرآن الكريم ازدادت حاجة النّاس فيها للتّنقل والاحتكاك بالأمم الأخرى، وربّما كان دافعهم إلى ذلك هو الدّعوة والفتوحات الإسلامية ، وقد يكون في حديثه عن تعدد اللّهجات إشارة إلى اختلاف القراءات القرآنية وتباين لغات القبائل العربية وأمصارها، وهذه أسباب كافية في إثراء اللّغة ومحاولة جعلها تستوعب ثقافات ولغات أخرى.

يقول نعمان بوقرة:"فقد كان القرآن الكريم حدثًا خطيرًا في حياة اللّغة، إذ قام بتوجيهها إلى أن تكون لغة فكر، وواقع ومستقبل ، وأداة تعبيرية عن منجزات الحضارة الإسلامية، لقد ضمن لها البقاء حتّى غدا هذه البقاء مظهرًا مميّزًا للمعجزة البيانية."[3]

وبالتالي فقد اكتسبت اللغة العربية قوتها من القرآن الكريم، وحفظت به، وفي المقابل فإنّ فهمه كان مرتبطا بها فقد -استفاد المفسرون له- كثيرًا من فروع اللغة على اختلافها، بل إنّ النّص القرآني هو رسالة لسانية في حدّ ذاته، كما ذكر ذلك عبد السّلام مسّدي حين قال :"ولنا في الحضارة العربية الإسلامية مثال صارخ يصدح بصدق هذه الظّاهرة ، وهي قضية التّفسير فالنّص القرآني رسالة لسانية في حدّ ذاته ولكنّه أيضًا شهادة عن رسالة عقائدية، فلعلّه كان من المفروض أن يتحدّد نمط قراءاته منذ نزوله أي منذ حلوله محل الموجود اللّساني... وإذا بالتّفسير علم شرعيٌّ لا يتجدّد بالاحتمال والإمكان بل بالاقتضاء والوجوب ، حتّى خشي بعض علماء الدّين على مرّ الزمان عذاب الآخرة إن هم لم يتوّجوا حياتهم بتفسير للقرآن..."[4]

فعبد السّلام مسّدي بقوله يشير بوصفه للقرآن أنّه رسالة لسانية لاحتوائه المستويات اللّسانية جميعها، لأنّ اشتغال المفسّر بالنّص القرآني يلزمه بالتّعرض لتلك الفروع اللّغوية والاستفادة منها في تحليل النّصوص القرآنية، والكشف عن مضامينها، وبيان مقاصدها.

3. تعريف التّفسير:

1.3 .لغة: التّفسير، مصدر: فسّر ، فهو من مادة :(ف، س، ر)، وهذه المادّة تدّل على الكشف والبيان، يُقال: فسّر الشيء إذا بيّنه، فالتّفسير هو التبيين، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾ (الفرقان:33)، أي بيانا وتفصيلاً.[5]

قال صاحب القاموس المحيط :"الفسر: الإبانة وكشف المغطّى كالتفسير والفعل ، كضرب ونصر."[6]

قال صاحب لسان العرب:"الفسر: البيان، فسّر الشيء يفسِّره بالكسر، ويَفسُره بالضّم فسرًا، وفسّره : أبانه، والتّفسير مثله، ثم قال: الفسر:كشف المغطّى، والتفسير: كشف المراد عن اللّفظ المشكل".[7]

أمّا الزركشي فيقول:" هو مقلوب من سفر: ومعناه :الكشف ، ويُقال: سفرت المرأة سُفورًا إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصّبح :أضاء ، وإنّما بنوا (فسر) على التّفعيل، فقالوا:تفسير للتكثير.[8]

وزاد الزركشي:"أمّا التفسير في اللّغة فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف ,أصله في اللّغة: من التّفسرة، وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أنّ الطّبيب بالنّظر فيه يكشف عن علّة المريض، فكذلك المفسّر يكشف عن شأن الآية ، وقصدها ومعناها، والسّبب الذي أنزلت فيه ،وكأنّه تسمية بالمصدر"[9]

فالمعاني اللّغوية لمادّة (فسّر) كلها تصب في قالب واحد أو مدلولات متقاربة، وهي بمعنى الكشف، الإبانة، البيان، الإظهار والتّمعن والنّظر لإجلاء الصّورة ووضوحها، وهذه المعاني كلّها مطلوبة في علم التّفسير، كما أنّ المفهوم اللّغوي يتقاطع مع المفهوم الاصطلاحي، ويشابهه في هذه المدلولات ، وذلك لأنّ تعريف التّفسير:

2.3**اصطلاحا:** هو كما قال الزّركشي في البرهان:"هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النّازلة فيها، ثم ترتيب مكيّها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها ، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفصلّها... وزاد فيها قوم ، فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وغيرها وأمثالها".[10]

فالتّفسير عند الزركشي - إنطلاقًا من هذا التّعريف- يجمع مباحث متعدّدة من علوم القرآن، ذلك أنّ المفسّر بحاجة ملحّة لمعرفة هذه العلوم التي ينطلق منها لتفسير الآيات والسور، فكان لزامًا عليه معرفة المكي من المدني ، والمحكم من المتشابه ، والنّاسخ من المنسوخ ، والخاص من العام، والمطلق من المقيّد ، والمجمل من المفصّل، أضف إلى ذلك معرفة أسباب النّزول والحلال من الحرام، وغير ذلك من المحاور الهامة التي تعين المفسّر للوصول إلى الفهم الصّحيح والمعنى الحقيقي الذي يغيب عن عامة النّاس ، وبذلك يتميّز عن غيره ممّن يقرأ القرآن وهو جاهلٌ بمعانيه ودلالاته.

وأمّا أبو حيّان فيذكر في البحر المحيط تعريفًا للتّفسير مفاده:"علم يُبحث فيه عن كيفية النّطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحصل عليها في حالة التركيب."[11]

ولعلّ هذا التّعريف فيه من الدّقة ما فيه ، نظرًا لإشارته الواضحة لمسألة مهمة، وهي التّركيز على: مدلولات القرآن ومعرفة معانيها ، ويشمل ذلك كلّه ما يحتاج إليه المفسّر للكشف عن كنهه وخلفياته المتوارية وراء مفرداته وتراكيبه.

4. موضوع علم التفسير:

"يعتبر علم التفسير بحق أرفع العلوم الإسلامية قدْرًا وأعلاها شأناً دونه كلّ علم من العلوم الإسلامية على اختلاف أنواعها ، وتنوع مقاصدها ، وتلك حقيقة برهان قائمٌ، لا ينكره إلاّ من ينكر ضوء الشّمس ، فموضوع علم التّفسير: كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد، وكلّ العلوم في شرف خدمته، وما من علم منها إلاّ وهو وسيلة من وسائل توضيح معانيه ، وتجلية مقاصده ومراميه."[12]

فالاشتغال بكتاب الله تدبرًا وتلاوة من أجلّ القربات وأرفعها قدْرًا عند الله ، فكيف إذا كان الأمر متعلّقًا بتدبّر معانيه وفهم مراميه وتعلّمها وتعليمها لكلّ تاليه ، فلا شك أن ذلك أسمى ما يسعى إليه عباد الله المخلصون، ونظراً لتنوّع مواضيع القرآن الكريم، واختلاف قضاياه وتعدد أساليبه ، فإعجازه بيّن لا محال وفهمه يستوجب سعة الاطّلاع على شتّى المعارف، وقد أحسن الإمام الزركشي حين قال:" كتاب الله بحره عميق، وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمه إلاّ من تبحّر في العلوم وعامل الله بتقواه في السّر والعلانية وأجلّه عند مواقف الشبهات واللّطائف والحقائق ، لا يفهمها إلاّ من ألقى السّمع وهو شهيد."[13]

فهذا دليل على أنّ المفسّر لكتاب الله لا بدّ أن يكون على دراية تامة بكلّ ما يحيط به من علوم تعينه حتّى لا يعتري عمله النُّقص والزّلل، ولا يكتنفه الغموض والشّبهات.

5. حجية التفسير اللّغوي:

لقد كان فهم الناس للقرآن الكريم أمرا لا يُشك فيه، لأنه نزل بلسان عربي مبين ، وخصوصا أن العرب آنذاك كان يتكلمون بلغتهم على السليقة التي لا يشوبها لحن، ورغم ذلك فإنهم كانوا إذا أشكل عليهم أمر، يرجعون فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومضوا على ذلك في حياته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وحتى بعد وفاته، فقد سار الصحابة على نهجه ، وكانوا يفسرون القرآن مما يفهمونه من لغة العرب « وأكثر من وصلت أجوبته للناس من الصّحابة، هو عبد الله ابن عباس رضي الله عنه، فقد سئل عن كثير من الألفاظ القرآنية فأجاب بالمعنى اللّغوي البحت، كقوله في معنى الأرائك في قوله تعالى:﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾(الكهف، 31)، قال: الأرائك= السرر)، ومعنى (فآزره) في قوله تعالى: ﴿**كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ** ﴾ (الفتح:29)، قال: آزره= قواه ، وفي تفسير بعض الألفاظ لم يكتف ابن عباس رضي الله تعالى عنه بإيراد المعنى اللّغوي بل استشهد على صحة قوله أو على تعضيده بما قالته

العرب في أشعارها، فقد سئل عن معنى الوسيلة في قوله تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾(المائدة: 35)، فقال: (الوسيلة= الحاجة) ، قال عنترة:

إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكحلي وتخضبي. ...

وهذه هي النواة الأولى للمدرسة اللغوية ، والدراسات اللّغوية في القرآن الكريم»[14]

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على كون التفسير اللغوي حجة في حدّ ذاته، وهو يعتد به إن لم يتنافى مع المعنى المراد في الآية كما سيأتي توضيح ذللك في ضوابط التفسير اللّغوي.

6. العلوم التي يحتاجها المفسّر:

ذكر محمد حسين الذّهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) جملة من العلوم التي اشترط العلماء معرفة المفسّر لها ، والتي يستطيع بواسطتها أن يفسّر القرآن تفسيرًا عقليًا مقبولاً ، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسّر من الوقوع في الخطأ ، وتحميه من القول على بدون علم ، وهذه العلوم هي :

- **علم اللّغة:** لأنّ به يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، قال مجاهد:"لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب"، ثم إنّه لابدّ من التّبحر والتّوسع في ذلك ،لأنّ اليسير لا يكفي إذ ربّما كان اللّفظ مشتركًا ، والمفسّر يعلم أحد المعنيين ، ويخفى عليه الآخر، وقد يكون هو المراد.
- **علم النّحو:** لأنّ المعنى يتغيّر ويختلف باختلاف الإعراب،فلابدّ من اعتباره.
- **علم الصّرف:** وبواسطته تعرف الأبنية والصّيغ.
- **الاشتقاق:** لأنّ الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما.
- **علم البلاغة (المعاني، البيان والبديع):** فعلم المعاني يعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وعلم البيان يُعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها ، بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وعلم البديع يعرف به وجوه تحسين الكلام.[15]

بالإضافة إلى بعض العلوم الأخرى التي لا غنى للمفسّر كعلم القراءات، علم أصول الدّين، علم أصول الفقه، علم القصص، علم النّاسخ والمنسوخ، الأحاديث المبيّنة لتفسير المجمل والمتشابه ، وقد ركزنا على الجوانب اللّغوية التي يحتاجها المفسّر لأنّها مفتاح كلام الله الذي نزل باللّغة العربية، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (يوسف:02).

وإن كنّا بصدد الكلام عن مدى أهمية اللّغة في تفسير كتاب الله تعالى، فلابدّ من الإشارة إلى نوع من أنواع التفسير المأثورة عن المفسّرين، وهي تفسير القرآن باللّغة، وقد أدرج بعض العلماء هذا النّوع تحت ما يسمّى: التفسير بالرّأي المحمود.

7. تفسير القرآن باللّغة (التّفسير اللّغوي):

المقصود به تفسير القرآن بلغة العرب، وسبب اعتبار هذا طريقًا من طرق التّفسير هو نزول القرآن بلغتها، واعتماده أساليبها في الخطاب ، وممّا يدل على اعتبار اللّغة طريقًا من طرق التّفسير:الحديث في التّفسير النّبوي عن استشكال الصّحابة للظّلم، في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ (الأنعام:82) ، ووجه دلالة هذا الأثر أنّ الصّحابة قد فسّروا الظّلم بما يعرفونه من لغتهم ، ولم ينكر عليهم الرّسول (صلى الله عليه وسلم) هذا ، بل أرشدهم إلى المراد من بالظّلم في الآية ، وممّا يدل عليه كذلك اعتماد الصّحابة والتّابعين على اللّغة في تفاسيرهم واستشهادهم بأشعار العرب وأساليبها لبيان المعاني اللّغوية في القرآن"[16]

فهذا منهج واضح بيّن من الصّحابة رضوان الله عليهم، في الرّجوع إلى اللّغة الصّافية لتفسير القرآن الكريم، ونصٌ صريحٌ فصيحٌ من النّبي (صلى الله عليه وسلم)، إقرارًا لهم بذلك.

8. تعريف التّفسير اللّغوي:

ورد في تعريفه:" هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب"، فالشّق الأول من التّعريف وهو(بيان معاني القرآن)، فإنّه عامٌّ ، يشمل كلّ مصادر البيان في التّفسير ، كالقرآن والسّنة، وأسباب النّزول وغيرها، ,وأمّا الشّق الثاني من التعريف:(وهو بما ورد في لغة العرب)، فإنّه قيدٌ واصفٌ لنوع البيان الذي وقع لتفسير القرآن وهو ما كان طريقُ بيانه عن لغة العرب، وبهذا النّوع من البيان ، يخرج ما عداه من أنواع البيان ، كالبيان الكائن بأسباب النّزول وقصص الآي ، أو غيرها ممّا ليس طريق معرفته اللّغة..."[17]

وقد حرص أهل الاختصاص على وضع ضوابط محدّدة للتفسير اللّغوي.

9. ضوابط التّفسير اللّغوي:

للتفسير باللّغة ضوابط يجب على المفسّر التزامها، حتّى لا يحيد عن جادة الصّواب وقد حدّدها أهل العلم في النقاط التالية:

- أن تكون اللّفظة المفسّرة صحيحة في اللّغة، فلا يجوز تفسير القرآن بما لا يعرف في لغة العرب، ومثاله تفسير قوله تعالى : ﴿**وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾ (البلد: 02)، بأنّه حالٌّ ومقيمٌ به ، وقال ابن عاشور أنّه حالٌ ، أي ساكن بهذا البلد.
- أنّ تفسير القرآن يكون على الأغلب المعروف من لغة العرب دون الشاذ أو القليل، ومثاله تفسير قوله تعالى : ﴿ **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا**﴾ (النبأ:24)، قيل : البرد : النوم، وهذا تفسير بالأقل ، إذْ الأغلب المعروف من البرد ، هو ما يبرد حر الجسم من الهواء.
- أن يراعي المفسّر عند تفسيره للفظة السياق، فلا يختار إلاّ ما يتناسب معه، ولذا كان من أوجه رد أقوال بعض المفسرين ،عدم مناسبتها للسياق.
- أن تُعرف ملابسات النّزول إذا احتاجها عند تفسير لفظة ما، لكي يعرف المراد بها في الآية.[18]

- أن يُقدّم المعنى الشرعي على المعنى اللّغوي إذا تعارضا ،إلاّ إذا دلّ الدّليل على إرادة المعنى اللّغوي، لأنّ القرآن نزل لبيان الشّرع لا لبيان اللّغة ، فالصّلاة في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (التوبة:84) ، تحتمل الدّعاء ، وتحتمل صلاة الجنازة ، وهذا هو المقدّم لأنّه المعنى الشرعي، وفي قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة:103)، فالصّلاة هنا الدّعاء، وهو المعنى اللّغوي.[19]

وانطلاقا من هذه الضوابط التي سطّرها العلماء ، يتبيّن لنا أنّ التّفسير على المعنى اللّغوي الظّاهر والمتداول من لغة العرب لا يكون ولا يرجّح إذا ثبت دليل من الأثر على خلاف معناه ، كما أنّه لا يعتدّ بالمعنى اللّغوي إذا خالف المعنى الشرعي، ولا يتأتّى ذلك إلا بمعرفة سياق الآية وسبب نزولها ، فالعلاقة بين اللّغة وعلوم القرآن متلازمة ، كما أنّ عملية التّفسير تتفاعل فيها عدّة جوانب وخلفيات معرفية تسهم في فهم البنية العميقة للنّص القرآني .

10.بداية التأليف في التفسير اللّغوي:

على ضوء ما أسلفنا ذكره تمثلت في أذهاننا صورة واضحة عن مدى أثر فروع اللّغة في تفسير وفهم آي وسور الذكر الحكيم، وقد كان منهج التفسير اللغوي داعيا قويا ودافعا محفزا لظهور المؤلفات التي لها علاقة بتفسير القرآن الكريم ومعرفة معانيه انطلاقا من لغة نزوله، وكما أسلفنا ذكره فإن البداية الأولى للتفسير اللغوي بعد النبي صلى الله عليه وسلم بدأت مع ابن عباس ، ثم توسعت بظهور بعض المؤلفات المتخصصة في علم من العلوم ومن ذلك:

1.10.كتب إعراب القرآن :

-وأهم المؤلفات في هذا العلم:

- (إعراب القرآن) لأبي جعفر النحاس، ت(338 ه).
- (إعراب القرآن) لابن خالويه ت(370 ه).
- (مشكل إعراب القرآن) لمكي بن طالب القيسي ت(437ه).
- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات بن الأنباري (ت.577 ه).
- والتبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ت(616ه).

ومن المعاصرين :

- محي الدين درويش وكتابه (إعراب القرآن الكريم وبيانه).
- محمد علي طه الدرّة واسم كتابه (تفسير القرآن وإعرابه وبيانه).[20]

2.10.كتب غريب القرآن:

- مسائل نافع بن الأزرق قام بجمعها عائشة بنت الشاطئ.

- مجاز القرآن لأبي عبيدة بن المثنى ت(210 ه).
- معاني القرآن للأخفش الأوسط ت(215ه).
- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ت(276ه).
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ت(311ه).
- نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العظيم للسجستاني ت(330 ه).
- العمدة في غريب القرآن العظيم ت(330 ه).
- العمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ت(437 ه).
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت(502 ه).
- الأريب بما في القرآن من الغريب لابن الجوزي ت(597 ه).
- تحفة الأريب في تفسير الغريب لأبي حيان الأندلسي ت(745 ه).
- معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللّغة العربية بالقاهرة.
- كلمات القرآن تفسير وبيان لحسنين مخلوف.[21]

3.10. وأهم المؤلفات في الوجوه والنظائر:

- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم" لمقاتل بن سليمان البلخي: ت(150 ه).
- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد" للمبرد: ت (285 ه).
- تحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذي :ت (285ه).
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" للدامغاني:ت(478 ه).
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج ابن الجوزي ت(597ه).
- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد ت(887ه).

ومن المؤلفات المتأخرة في الموضوع كتاب:

- معترك الأقران في مشترك القرآن" للسيوطي ت:911 ه.

عقب هذه الجهود المتناثرة المبذولة في محاولة فهم معاني القرآن الكريم ، ظهرت تفاسير جامعة لعلوم اللّغة ، لم يقتصر أصحابها على الوقوف على إعراب القرآن الكريم فحسب، أو معرفة غريبه ومتشابهه وإنما تسعى لتفسير القرآن الكريم تفسيرا كاملا يتعلق جله بمسائل لغوية، دون إهمال جانب القراءات وعلوم القرآن الأخرى ... ومن ذلك: تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) وتفسير أبي حيان الأندلسي (البحر المحيط) ، وقد ظهرت تفاسير أخرى متأخرة كتفسير (التحرير والتنوير) للطاهر ابن عاشور.

11.خلاصة:

لقد أفضت بنا هذه الدراسة الموجزة إلى إدراك علاقة التكامل بين علوم اللغة العربية وعلوم القرآن، وكان علم التفسير مثالا حيا عن هذا التلاقح حيث نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وقد فهمه الرعيل الأول انطلاقا من لغة نزوله، وأقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك، ولذلك لم يكن يخفى على أحد في كون اللغة العربية تعد بحق مفتاح القرآن الكريم.

- يعتبر فهم اللغة العربية طريقا لفقه القرآن الكريم وبيان مقاصده ومراميه، وفهم دلالته ومعانيه.

- للتفسير باللغة مجموعة من الضوابط التي يجب على المفسر مراعاتها خشية تعارض فهمه مع المعاني الشرعية، وهذا ما يؤيد وجوب إلمامه ببعض العلوم أو المعارف ا أخرى.

- ظهرت المؤلفات التي تعنى بفهم معاني القرآن وإن كانت في كتب متناثرة وموضوعات متفرقة ككتب إعراب القرآن، و غريب القرآن والوجوه والنظائر، وبعدها ظهرت التفاسير اللغوية الجامعة التي جمعت شتى المعارف والفنون بغية تفسير القرآن، وزاوجت بين علوم العربية: كالنحو والصرف والبلاغة....والعلوم الشرعية كعلم القراءات والتجويد، والفقه وعلوم القرآن، فوفت وكفت، وقدمت للطالب المتخصص ما يروي شغفه اللّغوي والشرعي.

الهوامش:

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الغد الجديد ، القاهرة، ط1، 1438هـ، 2017م، ص 486

[2] عبد الغفار حامد هلال ، العربية : خصائصها, وسماتها ,مطبعة الجبلاوي ,ط 4 ,1990م ,ص 171.

[3] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت.ص07

[4] عبد السّلام مسّدي ،مباحث تأسيسية في اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة ، لبنان،ط1،2010م، ص25

[5] محمد النّقراشي، مناهج المفسّرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، مكتبة النهضة،القصيم، ج1، ط1، 1407هـ،1986م، ص13

[6] مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ،لبنان، ط1426،08هـ،2005م، ص456.

[7] جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج6، ط03، 1414هـ،ص361.

[8] بدر الدّين محمد الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالتراث، القاهرة، ط03، 1404 هـ، 1984م،ص148.

[9] المرجع نفسه ،ص147

[10] بدر الدّين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ص147

[11] محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان ، ج01، ط01، 1413هـ،1993م،ص10.

[12] محمد حسين الذهبي ، كتابك (علم التّفسير)، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص09.

[13] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص153

[14] مساعد محسن آل جعفر، ، محي هلال السرحان، مناهج المفسرين، دار المعرفة، ط1، 1980، ص123، 124.

[15] يُنظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ج1، ط7، 2000، ص191.

[16] مساعد بن سليمان الطّيار، فصول في أصول التّفسير، دار النّشر الدّولي ، الرّياض ،ط1، 1413هـ، 1993م،ص41.

[17] مساعد بن سليمان الطّيار، التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي ، د.ط،د.ت، ص38

[18] يُنظر: مساعد بن سليمان الطيار، فصول في لأصول التّفسير، ص42، 43.

[19] مساعد الطّيار ، المرجع نفسه، ص44.

[20] ُينظر: فهد الرومي ، أُصول في التفسير، ص119.

[21] يُنظر: فعد الرومي، المرجع السّابق، ص126.